

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل

ذئب الأحراش

www.dvd4arab.com



تأليف
السياسة العربية الحديثة
محمود الشاذلي
ترجمة: محمد عبد الوهاب - 1998

الكتاب



د. محمد فاروق

رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للجيب
زائفة
بالأحداث
المثيرة

٣٦

ذئب الأحراش

- ما سر تلك المحاولة الخفية ، لزور اختلاف بين (مصر) ومواطني (جنوب إفريقيا) ؟
- لماذا يجازب (أدهم صبرى) ورؤيته رجال (الموساد) في قلب إفريقيا ؟
- أبسط (أدهم صبرى) أمام منظمة (اللذاب البيض) ، أم يثبت أنه وحده ذئب الأحراش ؟
- ألرا التفاصيل المثيرة ، لثرى كيف يعمل (رجل المستحيل) .



العدد القادم : مخالب الشيطان

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجد رجل واحد في سن (أدهم صيرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صيرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق من جدارة ذلك اللقب الذي أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ - نداء من كيب تاون ..

انطلقت رصاصة قاتلة من قوّة مسدس من نوع الـ (سميت) ، تشق الهواء نحو رجل يعبر داخل ممر طويل ، وانحرف الرجل في نفس اللحظة التي حطمت فيها الرصاصة حاجز نافذة ، وبعد عنه بضعة سنتيمترات في نهاية الممر ، وارتفع صوت أقدام ثلاثة رجال يطاردون الرجل النزل في إحمرار ووحشية ، وقفز الرجل داخل حجرة صغيرة ، وأغلق الباب خلفه في إحكام ، ثم دار بهيبه في أرجاء المكان في الهلّة ، حتى استقرت فوق جهاز لاسلكي صغير ، يقع ساكناً في ركن الحجرة ، فأسمع نحوه ، وأخذ يدير مؤشرات في توتر محاولاً الوصول إلى موجة إرسال مناسبة ، وازداد توتره حيناً بدأ الرجال الثلاثة يدقّون باب الغرفة في شراسة وقوة ، ومعنى الوقت ببطء ، حتى تحلّل للرجل أنه قد استغرق دهرًا كاملاً ،

خطورة موقفه أن يدير مؤشر جهازه اللاسلكي ، كيلا يعرف الرجال الثلاثة الموجة الخاصة برثاسته ، وظل ساكناً يحلّق في قوّهات المسدسات الثلاثة المصنّبة نحوه ، حتى سمع صوت أحد الرجال يقول :
— لا فائدة من المقاومة يا رجل المخابرات المصرية ، لقد انتهى كل شيء .

قال (س ٦٠٠) في اختصار :

— يا لك من خائن قدر !

ارتسمت ابتسامة على شفهي الرجل الفلسطيني ، وهو يقول :

— حسنًا أيها الرجل .. إنها كلماتك الأخيرة .

وهجأة .. تحرك (س ٦٠٠) ، ووكل مسدس الرجل ذي الشفهي الفلسطيني ، ثم عاجله بلكمة قهقهة في صدره ، واستدار يواجه الرجلين الآخرين ، ولكن أحدهما أطلق عليه رصاصة اخترقت ذراعه ، وحطمت عظامه ، وبرغم آلامه المبرّحة ، لكم (س ٦٠٠)

قبل أن يعرّض إلى الموجة المشوذة ، فثبت جهاز الانعاز والاتصال فوق أذنيه ، وهتف في توتر ز

— هنا (س ٦٠٠) يتحدث إلى (وكسر الثعالب) ، لقد فشلت عملية (الذئب الأزرق) .. أنا محاصر هنا .. لا أمل في النجاة .

ساد الصمت لحظة ممت كالدهر ، قبل أن يبعث من الجهاز صوت يقول :

— هنا (وكسر الثعالب) .. كيف فشلت المهمة يا (س ٦٠٠) ؟

أجاب وهو يحبس النظر إلى باب الحجرة ، الذي بدأ الرجال الثلاثة يطلقون رصاصاتهم عليه :

— بسبب الخيانة ، لقد خائنا أحد أفراد (الأسود السود) ، لقد

وقبل أن يتم عبارته تحطم مزلاج الباب ، واندفع الرجال الثلاثة إلى الحجرة الصغيرة ، واجهت الكلمات في حلق (س ٦٠٠) ، ولكنه لم يتس برغم

الرجل بأقصى ما يملك من قوة ، وكل الثاني في وجهه قبل أن يطلق رصاصات مسدسه ، وفجأة أيضا وجد (س ٦٠٠) الطريق أمامه عالية ، فاندفع محاولاً مضادة الخجيرة .. ولكن الرجل ذا الشفصين الفيلطين ، أطلق رصاصته التي استقرت في عرق (س ٦٠٠) .

تولج ضابط المخابرات المصرية ، واندفعت دماء الحياة من عقه ، وحاول أن يتشبث بالباب ، ولكنه سقط أوتنا جثة هامدة .

ازدرد الرجل لماعه ، وقال للآخرين :
— ها قد غططنا حسه ، ولا نرب أن للمصريين سيولون رجلاً آخر .

سأله أحد الرجال وهو يتنفس :

— هل تشن ذلك حقاً ؟

أجابوه وهو يشمل سيجارته :

— انهم لا يستسلمون بسهولة ، وساداسوا قد

وصلوا إليها في (كيب تاون) ، فلهم لن ينسحبوا قبل أن يعضوا نهاية حامية للأمر .

سأله الرجل الآخر :

— هل نلحق العملية إذن ؟

هزّ شريط الشفتين رأسه نفيًا ، وقال وهو يبتعث دمعان سيجارته :

— هذا مستحيل أيها الغبي .. سنستمر ونجلبهم القادم و

واسم في خراطة ، وهو يردف في بطة وهدوء :
— ونقطه .



٢ — إلى الجنوب ..

عقد (أدهم) حاجيه ، وهو يصفي في التباه إلى تسجيل رسالة (س ٦٠٠) الأنوية ، وانتظر حتى انتهت ، ثم قال :

— أظنني أحتاج إلى بعض التفاصيل يا سيدي ، فلما أعلم أن (س ٦٠٠) هو زميلنا (عبد الفتاح) (رحمه الله) ، وأن (وكسر الصالب) هو مقرر (المخابرات المصرية) .. ولكن ما عملية (الذئب الأرقط) ؟ ولماذا نسمي في (كيب تاون) عاصمة (جنوب إفريقيا) ؟

تهد مدير المخابرات ، وقال :

— سأعيرك بالأمر منذ البداية يا (ن — ٩) .
وصحت لحظة وكأنها يستجمع أفكاره ، ثم قال :
— أنت تعلم أن (جنوب إفريقيا) من المناطق التي

ما زالت تخضع للاحتلال البريطاني حتى الآن ، وأن المشكلة الرئيسية فيها هي تلك القرقة العنصرية بين البيض والزوج ، الذين هم أهل البلاد الأصليين .

سأله (أدهم) :

— وما علاقة هذا بالمخابرات المصرية يا سيدي ؟

أجابته مدير المخابرات :

— في الدول العنصرية عادة ، ينشأ فريق يحاول الإفادة من الموقف ، وفي هذه المرة أراد ذلك الفريق توطيد السفارة المصرية هناك ، في عمل يجلب إليها سخط المواطنين الزوج ، ويعقد تلك العملية واحد من أبرع رجال (الموساد) ، يحاول أن ينسب مقنن بعض المواطنين إلى السفارة المصرية ، وبذا يضرب عضوين بحجر واحد ، فيعظم العلاقة بين (مصر) و (جنوب إفريقيا) ، وينفي التهمة عن منظمة البيض الإجرامية المستولقة عن حوادث القتل ، والتي تعاون (الموساد) في كثير من عملياته ، وتطلق على نفسها اسم (الذئب

الأبيض) ، لهذا السبب أرسلنا (س ٦٥٥) في محاولة لإحباط ذلك الخطط ، ولكنه لقي مصرعه كما علمت .

سأل (أدهم) في اهتمام :

— وما هي منظمة (الأسود السود) التي خائنا أحد رجالاتها هذه ؟

أجابته مدير المخابرات :

— إنها منظمة من الزنوج مناهضة لبدا الطريقة المصرية ، ويؤمن ببراءة (مصر) من حادث مقتل المواطنين السود ، وكان من الضروري أن تعاوننا في كشف الأمر ، ولكن أحد زميلاتها خائنا ، يعمل لحساب (الروساد) .

نهض (أدهم) من مقعده ، وهو يقول :

— متى أسألك إلى (كيب تاون) يا سيدي ؟

انقسم مدير المخابرات خماسة (أدهم) ، وقال في هدوء وهو يتأمله ملأها صغيراً :

١٢

— بعد ساعتين فقط يا (ن — ١) ، بعد أن تحفظ كل كلمة يتضمنها هذا الملف .

لم يستطع (أدهم) كتمان ضحكته ، حينما وقع بصره على (منى توفيق) في مطار القاهرة ، كانت قد تحولت بفعل التنكر إلى رشيحة أنيقة ، لها بشرة في لون الفيكولا ، وشعر مجعد كيف تنكّر فوق رأسها وشلتان غليظتان مختتان ، وفي كل من أذنيها تدلى قرط ضخم أصفر اللون ، وعقدت هي حاجبها في غضب ، حينما بدا يتأكلها ضاحكاً ، وهمت في أدلة مباشرة : — أنت أيضاً تبدو عجيباً ، وأنت تنكّر في هيئة الزنوج .

استمر (أدهم) يضحك في مزح لم يلبث أن انتقل إليها ، فلالتي غضبها ، وضحكت وهي تقول :

— ليك رأيت (قدرى) وهو يلتقط صوراً بهذا التنكر ، من أجل جواز السفر .. لقد ارتج جسده

١٣

البدن وهو بقلبه ضاحكاً ، وبعكث كرهه الضخمة ، غارلاً منهما من الإحراج .. لقد استغرق نصف ساعة كاملة يلتقط صوراً .

قال (أدهم) وهو يقودها إلى حيث ينهى كل منهما إجراءات سفره :

— حسناً يا عزيزي (كيبولا) كما هو مدون بجواز سفرك .. سنزجل هذا الحديث ظلاً بعد .

ضحكت وهي تقول :

— لا بأس يا عزيزي (أندريه صاصو) .. كما هو

مدون بجواز سفرك أيضاً .

ارتفع صوت مظيفة الطائرة تدعو المسافرين إلى ربط الأمتعة ، والامتناع عن التدخين ، استعداداً للهبوط في مطار (كيب تاون) ، فالتفتت (منى) إلى (أدهم) ، وسأله بالفرنسية :

— هل نذهب إلى السفارة المصرية مباشرة ؟

١٤

أجابها (أدهم) في هدوء ، وهو يربط حزام مقعده :

— لن نذهب إليها مطلقاً يا عزيزي ، فمخبر فرنسيان كما يقول جوازنا سفرنا .. ونحن هنا في (جنوب إفريقيا) للتزج والسباحة فقط ، ولتست لنا أية مطالب أو علاقات بالسفارة المصرية .

سأله :

— من أين تبدأ مهمتنا إذن ؟

هز كتفيه وهو يجيبها قائلاً :

— من مقر (الأسود السود) بالطبع يا عزيزي .

عقدت حاجبها في مزح من اللطفة والقلق والتساؤل ، وهي تقول :

— ألا يتوهم هذا على خطر بالغ ؟ .. أصنى مادام هناك حائن مجهول الهوية وسط رجس (الأسود السود) ، فكيف نكشف لهم أوزاننا ؟

أجابها وهو يصمم بسامة مأكرة غامضة :

١٥

— لابد أن ندفعهم للحركة ، حتى ينشئ الأمر
بسرعة يا عزيزي .

قالت في غضب :

— هل سعود لمزامنة خطتك الخاصة ، بإلقاء
أنفسنا بين أبواب الأسود ؟

عاد يتر كفيه ، قائلاً في استنار :

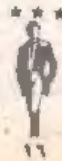
— ولم لا ؟ إنها أفضل الطرق في رأيي يا عزيزي .

وقبل أن تفتح فيها للاعتراض ، أسرع بإدراجها
قائلاً :

— ما قد هبطنا يا عزيزي ، وأرجو ألا نكون قد

نسيت معجون الأسنان الخاص بتطهير أبواب الأسود

الحائزين وسط (الأسود السود) .



٣ — الأسود والأبيض ..

تولفت سيارة قديمة — من طراز يعود إلى عشر
سنوات مضت ، أمام منزل صغير ، في أحد أحياء
(كيب تاون) الفقيرة ، وترجل منها (أدهم صوري)
ورئيسه (مني) ، في زئيمهما الذي يجعلهما يشبهان
المواطنين تمامًا ، وقبل أن يدعى (أدهم) باب المنزل
الصغير ، القرب منه شرطى أبهى البشرة ، وسأله
بالإنجليزية في عسونة :

— مهلاً أيها الأسود .. هل لديك رخصة قيادة
السيارات ؟

أجاب (أدهم) بالإنجليزية تحمل اللكزة الفرنسية ،
وبصوت يحمل ركلة السخرية :

— بالطبع أيها الشرطي الأبيض المهام .. لقد
استخرجت رخصة دولية من دولتي (فرنسا) .

لولى الأسود بالطبع ، ولو أنك حاولت إيمانني بحرف
واحد ، أؤكد لك أنني سأعمل على نقلك إلى نقطة
مرور (سيبيا) .

تعلقت عنا الشرطي بعيني (أدهم) لحظات ، ثم
غمغم في سخط :

— حسنًا أيها الفرنسي .. متقابل مرة أخرى .

ثم جذب معصمه من قبضة (أدهم) ، وتحرك
مبعداً ، متحاشياً نظرات الشماتة في عيون الوطنيين
الزنج ، والذين انصروا بطلعون إلى (أدهم) في سعادة
وإعجاب ، على حين دق هو باب المنزل الصغير في
هدوء ، وهو يقول لـ (مني) :

— لقد ازدادت إصراراً على معاونة (الأسود
السود) يا عزيزي .

فتح الباب رنحي أحيب الشعر ، تأمل وجه (أدهم)
بنظرات متشككة ، قبل أن يسأله في صوت قوي
لا يعاسب وجسده المهزل :

تطلع إليه الشرطي في شك ، وقال :

— هل أنت فرنسي ؟ .. أوجد زوجي (فرنسا) ؟

أجاب (أدهم) بلهجة الساخرة :

— نعم أيها الشرطي .. تمامًا كما يوجد بيض في

(جنوب إفريقيا) .

ظهر الغضب على وجه الشرطي ، وصاح وهو يهوى

بعضه الغليظة القصيرة على رأس (أدهم) :

— أخلق خفيك على أسنانك أيها الثقي القلبر .

تولفت يد الشرطي في الهواء ، واتسعت عيناه ذعرًا

ودعولاً ، حيناً تحركت قبضة (أدهم) كالصاروخ ،

ولقيت على معصمه في قوة .. وهزم الشرطي بالألم

حيناً انفرزت الأصابع القلالية في رصمه ، وحلقت

مدهرجًا في عيني (أدهم) البارزين الساعرين ، وصممه

يقول في صرامة :

— كلاً أيها الشرطي الأبيض ، إنني زائر في هذا

البلد ، ولم أرتكب ذنبًا يمكنك مواخذتي عليه ، باستثناء

— ماذا تريد يا أحمى ؟

أجاب (أدهم) فى فجأة امرأة :

— أريد مقابلة (مونا) .

تظاهر الرجل بالتفكير ، وهو يقول :

— (مونا) ؟ .. لست أذكر هذا الاسم .

مال (أدهم) نحوه ، وقال فى صوت خفيض :

— لميك تذكره لو أخبرتك أنه زعيم (الأسود

السود) .

اتسمت عينا المعجوز ذهبة ، وقال وهو يسارع

بإغلاق الباب :

— لست أعرف من يدعى (مونا) يا أحمى .

وضع (أدهم) قدمه بين مصراعى الباب ليمنع

إغلاقه ، وقال فى هدوء :

— زير الأسود يرح الأذغال يا صديقى .

حدق الرجل فى وجهه بعض الوقت ، ثم شتمهم :

— بعض الأسود لا تتأز .

اجسم (أدهم) وهو يكمل العبارة السريعة المطلق عليها ، قائلاً :

— ولكننا نتصرف فى صمت يا صديقى .

فتح المعجوز الباب على مصراعيه ، وأشار لـ (أدهم)

و (منى) بالدخول ، ثم عاد بفتح الباب خلفهما فى

إحكام ، وتقدمهما إلى ما يبدو كمحاولة مُصمت ، وأزاح

جانباً من ستارة سوداء تسدل قفلة ، فظهر باب آخر ،

أسرع بفتحه وبشر إليهما بالدخول ..

كانت الإضاءة خافتة داخل الحجرة الجديدة ، ولم

تكد عينا (أدهم) و (منى) تصادان الرقعة فى تلك

الإضاءة الخافتة ، حتى تبيّن لهما ثلاثة زنوج ، يجلسون

حول مائدة مستديرة ، ويحدقون فيهما فى اهتمام

وتساؤل ، وتسلم (أدهم) نحو أحدهما ، ومدّ يده

ببصافته قائلاً :

— السيد (مونا) حسباً أعظم ، أقدم لك

نفسى .. أنا العقيد (أدهم صبرى) من المخابرات المصرية .

ثم أشار إلى زميله ، قائلاً :

— هذان (كونا) و (بصوى) ، زميلائى فى

مجلس قيادة (الأسود السود) .

تصافح الجميع ، ثم قال (أدهم) وهو يتخذ

مقعده إلى جوار (منى) حول المائدة المستديرة :

— ما معلوماتك عن حادث مصرع الوطنيين ياسيد

(مونا) ؟

صمت (مونا) قليلاً ، ثم قال :

— لا شيء تقريباً ياسيد (أدهم) ، لقد كانوا

أعضاء فى منظمة ، وهم العفري عليهم قتل إلى جوار

السفارة المصرية ، وأنا واثق أنها محاولة لزور روح

الكراهية نحو (مصر) ، ولكننى واثق أنهم قتلوا عليهم

على يد منظمة (اللئب الأبيض) ، وأنت تعلم علاقة

زعميها (أدولف جولين) بالـ (مونا) .

سأله (أدهم) :

— أهذا رأى الوطنيين هنا ؟

لم يكذب (أدهم) ينتهى من ذكر اسمه ، حتى نذت

شهقة خافتة من أحد الرجلين اللذين يجاوران

(مونا) ، وعقد (أدهم) حاجبه وهو يحاول تبين

أيهما مصدر الشبهة ، إلا أن (مونا) نهض

ببصافته ، قائلاً :

— مرحباً لمقدمك أيها المصرى ، تقبل أسفى لمصرع

زميلك السابق .

أجاب (أدهم) وهو يواصل تقبُّس ملاح الرجلين

الآخرين :

— لقد كان يردى واجبه ياسيد (مونا) .

تطلع (مونا) فى تساؤل إلى (منى) ، فظلمها

(أدهم) إليه قائلاً :

— زميلتى النقيب (منى توفيق) ، من المخابرات

المصرية أيضاً .

صافحها (مونا) ، وهو يقول فى فجأة مهددة :

— مرحباً بك فى (كيب تاون) ياسيدتى .

مط (مونا) شقيقه الطيبين ، وهو يقول :
 — إنهم مترقون ما بين انعام (مصر) ، أو البلك
 في ذلك يأسد (أدهم) .. ولن يحسم هذا التردد
 سوى كشف الأمر على نحو واضح .
 غمهم (كونا) في سخط :
 — كيف تكشف أسرارنا أمام رجل أبيض ، مجرد أنه
 متكرر في هيئة رشي يا (مونا) .
 تألفت عينا (أدهم) في الضوء الخافت ، وهو
 يتأمل وجه (كونا) ، على حين التفت إليه (مونا) .
 قاتلاً في غضب :
 — كيف تحارب العنصرية وأنت تتكرر بهذا
 الأسلوب يا (كونا) ؟ .. إن لون بشرة البيس
 (أدهم) لا يعني كثيراً ، فمعنا لا تحارب البيض مجرد
 لون بشرتهم ، ولكننا تحارب في سبيل نيل حريتنا
 وفولتنا ، والحد من أجل الحق يصاب دائماً بمعنى
 الألوان يا (كونا) ، ولكنه يمتلك حاسة قوية للتمييز
 بين الخير والشر .

غمهم (كونا) عبارة ماضية ، على حين اتبرى
 (جوى) قاتلاً :
 — أنت على حق يا (مونا) ، وأنا ألتق ليمس
 تتق بهم .

ابسم (أدهم) اجسامه غامضة ، وهو يقول :
 — سأعودكم في تعمير منظمة (الذئب الأبيض)
 يا (مونا) ، وليس هذا من أجل لونا ، ولكن لأنني
 أريد دائماً إلى معاداة كل من يحاول المساس بوطنى
 (مصر) .. سأحدثك إليك أولاً حديثاً سرياً مفرداً ،
 ثم أنصرف أنا وليمس لبده الصراع .
 تطلع إليه (مونا) في دهشة ، ثم غمهم في صوت
 خافت :

— كما تشاء يا سيد (أدهم) .. كما تشاء .

ظنت (منى) حاسة ، و (أدهم) يفرد سيارته إلى
 قلب (كيب تاو) ، ثم اندفعت فجأة تسأله في فضول :

— يم التمت إلى (مونا) قبل أن تنصرف ؟

ابسم (أدهم) وهو يقول :

— طلبت منه أن يأخذ الحبل من (كونا) يا عزيزى .
 سأله في دهشة :

— ولهم (كونا) بالذات ؟

أجابها في هدوء :

— لأنه الجاسوس الذى يعمل لحساب (الذئب
 الأبيض) في منظمة (الأسود السود) .

استمت عنها دهشة ، وهي تبت :

— كيف عرفت ؟ .. إن المقدم (عبد القاص)

(رحمه الله) ، لم يشر إلى شخصية الجاسوس بكلمة
 واحدة ر ..

قاطعها (أدهم) وهو يتطلع إلى امرأة السيارة ،

قاتلاً في صوت ترح فيه نبرة السخرية :

— سأعبرك يا عزيزى ، بعد أن أنتهى من هؤلاء

الأوغاد الذين يبعوننا منذ عشر دقائق .

أقمت (منى) نظرة على امرأة السيارة ، وهبطت :

— يا الهى ! كيف كشفوا أمرنا بهذه السرعة ؟

أجابها في هدوء :

— يبدو أن (كونا) يقوم بعمله على أكمل وجه

يا عزيزى .

ثم ضغط بقدمه دواسة سيارته في قوة ، وهو يعترف

بها إلى جانب الطريق ، قاتلاً في سخرية :

— إننى أعيد مفاجأة هؤلاء الذئاب البيضاء .



٤ - ذئب الذئاب ..

ضبط قائد سيارة الذئاب على دؤابة سيارته في قوة ، وهو يسب ساعطاً ، ثم هب في غضب وحمل :
— ماذا يفعل هذا الزئجي العبي ؟
تطلع أحد زملائه الأربعة إلى (أدهم) وهو يخاطر سيارته ، ويخبره بحولهم في هدوء وقال :
— لست أدري ماذا يريد بالضبط ، ولكن تذكر أن رجلنا قد حذرنا منه مثلاً .
قال رجل آخر وهو يرأب (أدهم) ، الذي اقترب منهم في ملاحه الزئجة السكينة :
— ربما يشد المساعدة ، فقد أوقف سيارته بشكل فجائي .

كان (أدهم) قد وصل إليهم في تلك اللحظة ، والحنى يتطلع إليهم من نافذة السيارة في سخرية ، وقال :

— أأنتم خمسة رجال فقط ؟

سأله قائد السيارة في عصبية :

— ماذا تريد أيها الزئجي ؟

أجاب (أدهم) في حجة استوائية ساخرة :

— لا عليك يا صديقي .. أردت فقط رؤية

عضلاتكم المنفوخة ، فقد تراءت مع صديقتي التي

أسطيع تفرغها بديوس صغير .

ظهر غضب جنون على وجوه الذئاب الخمسة ،

وهم يندفعون خارج السيارة ، وامتلأت أيديهم بصخرة

غريبة إلى مسدساتهم المدسوسة خلف ستراتهم ،

وصرخ زعيمهم غاضباً :

— سعدم على كل حرف تفرقت به أيها الزئجي .

ليس هناك من شك في أن اللحظات التالية لعمل

الكثير من الدم ، ولكنه لم يكن من نصيب (أدهم

صبري) ، فلم يكذ زعيم الأوغاد الخمسة ينتهي من نظن

لم يفضيه أن الرجال الخمسة كانوا يملسون مسدسات غير مرصعة ..

ولم يفضيه تشوب قتال عفيف وسط أحد شوارع

(كيب تاون) الرئيسية ..

ولم يفضيه تجاهل المقاتلين وجوده ، وإهمالهم للزئجي

الرسمي الذي يرتديه ..

وإنما أهضبه أن يحرق زئجي على مقاتلة خمسة من

البعض ، وأن تصل وفاحه إلى حد هزيمتهم ، وتطعم

أنوفهم أمام جمع من الزنوج والبيض ، كان هذا في رأيه

يعمل إهانة بالغة للجسد الأبيض ، ينبغي الرد عليها بطقين

الزئجي دوماً قاسياً أمام الجميع ..

لم يكذ الشرطي يصل إلى ساحة القتال ، حتى كان

القتال قد انتهى ، ولم يبق في الساحة سوى (أدهم)

ينفض غباراً وحباً عن سترة البضاء ، وصرخ غاضباً :

— كيف تحرق أيها الزئجي القذ ؟

كلماته الغاضبة ، حتى انفجر (أدهم) وسطهم كالإعصار ، واندمجت قبضته اليمنى بينهم فلك أولهم ، واليسرى تعظم أنف الثاني ، وانطلقت قدمه اليسرى في الوقت نفسه تركل صدرين الثالث ، على حين دارت قدمه اليمنى في الهواء كالمروحة ، وكسرت أنف الرجل نفسه .

تراجع الرجلان الباقيان في ذهول ، وتصلبت أيديهما فوق مقبض مسدسيهما ، وقبل أن يستردا إحساسهما بالموقف ، هزت قبضة (أدهم) حل رقبة أحدهما ، على حين غاصت قدمه في معدة الثاني ، واندمجت قبضته اليسرى تنهي القتال بالحكمة ساحقة في فكة ...

سُرع المارة في ذهول ، وهم يتطلعون إلى ذلك القتل الشيطاني العجيب بين الذئاب الخمسة وملك الذئاب في العالم أجمع ، وانطلق أحد رجال الشرطة نحو المقاتلين في غضب ..

لم يجد الشرطي المسكين ما يكفي من الوقت لإتمام عاقبه ، فلم يكند يرفع عصاه استعداداً لضرب (أدهم) حتى حطم (أدهم) أسنانه بالكلمة كالقنبلة ..

ترشح الجندي وهو ينظر إلى (أدهم) في دهول ، ولكن (أدهم) عاجله بالكلمة أخرى هتئت أنفه ، وسقط الشرطي على الأرض ، بين قفتس (أدهم) صوي ، الذي تحرك نحو سياقه ، ودلف إليها في هدوء ، وأدار عركتها ، فسأله (مني) في دهشة :

— لم ضربت الشرطي أيضاً ؟

أجابها في هدوء وهو يطلق بالسيارة :

— لقد سمعت هذا الأسلوب العصري السخيف .

سأله في غضب :

— وماذا ستفعل الآن ؟ لقد فحمت جهة قتال

جدينة عماداتك للشرطة .

اجسم وهو يقول :

٣٣



فلم يكند يرفع عصاه استعداداً لضرب (أدهم) حتى حطم (أدهم) أسنانه بالكلمة كالقنبلة ..

(٣٣ - رجل للسجل - قلب الأحرار - ٢٦)

— ألا نعلم أنك أكثر وسامة هكذا ؟
تطلع إليها صامتا بضع لحظات ، ثم سأها في هدوء :

— أنصفين بالبشرة السوداء يا (مني) ؟

هزأت كلفيا وهي تقول :

— مطلقا ، ولكنني أضيق بتغير ملامحي .. فلم أنسى ولدت رغبة لشمت التطلع إلى وجهي إذا ما تكبرت في هيئة امرأة يضاء ، إنها مسألة ألفة ليس إلا .

اجسم وهو يعقد رباط عتقه ، وتشاغلته هي بالتطلع إلى المكان ، ثم قالت :

— من الطريف أن غابراتنا لا تنسى أن تضع أكثر من منزل آمن ، في كل مهمة نضطلع بها خارج مصر .

(=) المنزل الآمن : هو مصطلح يستعمل في عالم الاقتارات لتعريف مكان جيد عن المراقبة ، ومعد مسكنا لإقامة رجل المخابرات في أثناء مهامه الخارجية .

٣٤

— لن يحدث شيء يا عزيزي .

صاحت في حق :

— ماذا تعني بأنه لن يحدث شيء ، سيحصلون على رقم السيارة ويبحثون عن ...

قاطعتها (أدهم) ، وهو يقول في سخوية :

— عن اثنين من الزنوج يا عزيزي .

استعت حينها دهشة وهي تلمع :

— هل تعني ؟

أجابها في هدوء :

— نعم يا عزيزي .. متلعب منذ الآن بوجه مكشوفة .

أسدلت (مني) شعرها الأسود الناعم على كلفيا ، وهي تطلع في معادة إلى بشرتها البيضاء وحالت منها الطاعة إلى (أدهم) ، الذي انتهى من إزالة شكره ، وسأله :

٣٥

أجابها في هدوء :

— هذه واحدة من القواعد الأساسية في عالم
الغابات يا عزيزي .

تأمله لحظة وهو يرتدى سترته ، ثم سأله في
فضول :

— إنك لم تخبرني بعد عن كيفية توصلك إلى كون
(كونا) هو الجاسوس المشهود .

اسم وهو كيميكا ، قائلًا :

— لأبني أنك سمعت تلك الشبهة الخافتة التي
انطلقت من فم أحد الرجلين المصاحرين لـ (موندسا)
حينما ذكرت اسمي يا عزيزي .

أومأت برأسها إيجابيًا ، ضاحك قائلًا :

— لقد بُهني ذلك إلى أن أحد الرجلين يعرفني
جيدًا ، ومن المستحيل أن يحدث هذا إلا إذا كان يتعمد
تأثيراتها ، أو إلى (الموندسا) .

قالت (منى) ، وقد علت حواجبها في تفكير

عميق :

— لقد تبنت إلى ذلك أنا أيضًا ، ولكنني لم
أسطع — مع الإضاءة الخافتة — معرفة أيهما صاحب
الشبهة .

رفع (أدهم) ساقيه أمام وجهه ، قائلًا :

— أنا أيضًا لم أسطع ذلك ، حتى قال (كونا)
إنه يرفض التعامل مع رجل أبيض .. وهنا علمت أنه قد
كشف نفسه دون أن يدري ، فلهما بلغ سوء تفكرنا لم
يكن بإمكانه تبين ذلك في الضوء الخافت ، ولما كان
أحدهم لم يسبق له مقابلة بالفضل ، فلم يكن من
الطبيعي أن يعلم أننا لسنا بـ (ربحين أصليين) ، إذ أنه من
الجلي أن ترسل التقارير المصنوعة وتحتج بالفضل ، لم يكن
بإمكانه معرفة ذلك إلا إذا كان يعرف أن (أدهم
صيري) — الذي يخطط جميع عملاء (الموندسا) أبيض
البشرة وليس زمنيًا كما يبدو .

غمضت (منى) :

— يا إلهي !! هذا صحيح .

ثم صاحبت في حيرة :

— لا بد أن يكشف القناع عنه

أجابها (أدهم) في هدوء :

— سنعمل يا عزيزي ، ولكن بعد أن نوقع

(اللذئاب البيض) عن أعينهم .

سأله :

— وكيف يكون ذلك ؟

أجابها وهو يتسم في سخرية :

— كما أخبرتك من قبل يا عزيزي .. سنلعب بوجه

مكتشوفة ، وسنقضي سهرتنا الليلية في الملهي بقية الذي

يوه (أدولف جوين) ، وسندفعه هو إلى اللهاث خلفنا .

غمضت في قلق :

— لقدد أنا مستحيل في المساء إلى طريدة تسمى

خطفها منظمة (اللذئاب البيض) ؟

٥ - لقاء اللذئاب ..

نفت (أدولف جوين) دمان سيجاره الضخم ،
وظهرت الدفاعة في عينيه وهو يتطلع إلى كمية اللحم
الموضوعة أمامه ، ثم مد يده بترع قطعة من اللحم ،
ويلقى بها في فمه بشكل بدائي مفزق ، وأخذ يتابع برنامج
الملهي في تراج ، وهو يتلفت حوله في بده شأن من اعداد
الخطر والخطر ، وجلس إلى جواره معاونه الأول
(ساندز) يدخن سيجارته بدوره ، ويراقب زميله في
بلاطة ..

ولفجأة .. اتبعت صيا (أدولف) ، وظهر
الرعب في ملامحه ، وهو يقبح على ذراع (ساندز) في
قوة ، وغض حلقه بقطعة اللحم الضخمة التي كان يجم
بأبلاجه ، فأخذ يسجل في قوة حتى ضربه (ساندز)
على ظهره بقدمه ، ثم ناوله كونا من البيرة جرحه



أجابه (أدهم) في هدوء وهو يحدّثه بنظراته
لساغرة .

— إنه ليس طلباً أبداً للهدوء .. إنه أمر . أبعد منك
أن توقف عملية (الذئب البيض) ، وتعود فوراً إلى
موطنك ، وإلى حقلك ومنظمتك كمحركات حقيرة .
لو أن (أدولف هوبن) سمع هذا القول من رجل
آخر ، لأطلق النار عليه في حمرة الغضب ، ولكن لأنه
يعلم جيداً طبيعة محذّده ، ومدى ما يجمع به من قوة
وشجاعة ، فقد شحّب وجهه إلى ما يقرب من الموت ،
وغمغم في صوتا شاحب :

٤٤

— ولكنك تعلم أن ما تطلبه بعد مستحيل في مثل
مهما يأمسّر (أدهم) .

هزّ (أدهم) كتفيه في استهزاء ، وقال :

— لن افرض عليك وسيلة معينة بامتسر
(أدولف) ، يمكنك أن تدعى المرض ، أو كبر السن ،
أو حتى الإصابة بالوباء بسبب الجزأ الحادّ ، أدهم أن
تتأخر هذا البلد قبل صباح الغد .

ثم انحنى (أدهم) في هدوء نحو (ساندور) ، ولم
يلت أن يهز وهو يدس سلس هذا الأخير في سترته ،
ويقول :

— هل سمعتي يا مسر (أدولف) ؟ ... قبل صباح
الغد .

ابتعد (أدهم) و (منى) في هدوء حتى غادرا
المبنى ، وهنا صاح (أدولف) وهو يهز شفيه
غليظاً .

٤٥

— سيكتفون ببعض المعرفة أليس نقم ، ثم بعد
(حنين) لحظة مناسبة و

وقبل أن يتم عبارته ، اختزلت رصاصة زجاج السيارة
الخلفى ، ومرت منه محطمة الزجاج الأمامى ، وفجعت
(منى) فمها مخدوعة ، على حين ضاعف (أدهم)
من سرعة سيارته بالاضمحاض على درأسة الوقود ، قاتلاً في
سخرية :

— تعذّلت المحطمة يا عزيزى .. إنهم يتوون لتتنا
مباشرة



٤٦

— لن يغفلت منى هذه المرة أبداً الشيطان
المصرى .. أنا الذى سأحققك

انطلق (أدهم) سيارته صامتاً فترة طويلة ، ثم قال
في هدوء :

— هل تريدون تفسيراً لما فعلت يا عزيزى ؟

أجابه في هدوء مماثل :

— لا عليك . لقد اعتدت ذلك ، حتى أننى لم
أتوقف عن مراقبة تلك السيارة السوداء التى تبعها منذ
غادرنا المبنى .

ضحك (أدهم) وهو يقول :

— لقد تحوّلت إلى محترفة حقيقة يا عزيزى .

سأله دون أن تعلّق على عبارته :

— ماذا تتوقع أن يفعلوا ؟

أجابه في هدوء :

٤٦

٦ - مطاردة حتى الموت ..

انطلقت سيارة (أدهم) تشق شوارع (كيب تاون) الخالية ، في الثانية بعد منتصف الليل ، وخلفها اندفعت سيارة سوداء ، تحمل ثلاثة من الرجال ضخام الجثة ، وفي يد كل منهم صندس ضخيم ، يحاولون اللحاق بسيارة (أدهم) ، حتى تقع في مرمى نيرانهم ، ولكن (أدهم صيرى) لم يكن بالرجل الذي تسهل هزيمه ، وشاهدت شوارع (كيب تاون) أعظم اسعاض لمهارات القيادة ، وامتلات قلوب الأذئاب البيض بالدهشة والحق ، وهم يحاولون تبشع ذلك الشيطان ، الذي ظل يراوغهم في مهارة مذهلة ، برغم أن سيارته أضطرب كثيراً من سيارتهم ، وبرغم أن قائد سيارتهم بطل سباق سابق .. ولكن يبدو أنه حتى الهزكات لنضع للأفهاء ، فقد استعجبت سيارة

٤٨

(أدهم) للسرعة الفائقة التي انطلق بها ، برغم أنها تجاوزت سرعتها وهي جديدة ، وضمت عجلاتها للمناورات المخطئة التي يقوم بها قائدها ، واستلمت عجلة القيادة تبطتى (أدهم) في خروج ، وطالت المطاردة ..

تسرب القلق إلى قلوب الأذئاب الثلاثة ، فانطلقت رصاصاتهم عشوائيا من فوهات مسدساتهم الكثافة للصوت نحو سيارة (أدهم) ، وظهر (أدهم) و (منى) بالرصاصات لتتفرق حطية السيارة من الخلف ، وتغرب (أدهم) بحركة حاذية ، محاولاً تضليل المطاردين ، ولكنه فوجئ أمامه بحربة صغيرة تعرض نصف المتعطف الذي دار حوله في سرعة خرافية .. ضغط (أدهم) ذراسة لإيقاف السيارة ، وحاول أن يمحرف بها إلى اليسار ، ولكن عوامل شتى وقفت تعرض ذلك .. السرعة الفائقة ، والانحراف المفاجئ ، وضيق الطريق ، ولم يكن هناك بُد من الصدام ..

٤٩

ومسدساتهم مشهورة ، مسدعة قتل (أدهم صيرى) وتبناه .

وقبل أن يصل الأذئاب الثلاثة إلى سيارة (أدهم) ، قفز هو خارجها ولقضاء تسيل من جرح في جبهته ، ويدها محاليتان من السلاح ، وارتفعت فوهات المسدسات الثلاثة نحوه ، واندفعت أصابع الأوغاد نحو لؤناده ولكن (أدهم) قفز فجأة في الهواء ، وبدت لقوته أكثر إثارة للذهول من قفزة سيارته . وقبل أن ترتفع عين الأذئاب الثلاثة إلى موضعه الجديد ، تلقى أدهم ركلة حطمت أنفه ، وفقد الثانی وجهه إثر ثانية هضمت ترقوته ، وقبل أن يفهم الثالث ما أصاب رفيقه ، بهشم أنفه رفعة بثلاث كعسات ، تعاقبت على وجهه كالصاروخ ، وسقط الرجل ، وانتهت المحركة ، لتبدأ معركة جديدة عندما ارتفع صوت سيارة شرطة تترقب ، فدهم (أدهم) في ضل :

٥١

لو أن عرجيا من مخرجى أفلام الحركة الأمريكية وقفه . يشاهد ماحدث . قفز صلوها من شدة الانتعال ، ولجعت في جوفه في حماسة عن عقد يوقمه مع (أدهم صيرى) ، ليقوم بطولة أكثر أفلامه إثارة وقوة ، ولانسعت اجسامه وهو يرتب على العقد ، مطمئناً إلى أنه سيمرح من مظهره الذي الفلم ما يكفل له العيش الرغد مدى الحياة ..

فقد ارتطمت سيارة (أدهم) بمقدمة السيارة الصغيرة ، وهزت في الهواء ما يزيد على عشرة أمتار في إطار مذهل خفيف ، ثم جعلت كطائرة حربية صغيرة ، وارتطمت عجلاتها بالأرض ، ثم عادت تفتقر ثلاثة أمتار أخرى ، وسقطت على عجلاتها كما لو كانت تنشى مخالفة رغبة قائدها ، ودارت حول نفسها ثلاث دورات كاملة ، قبل أن يصمت هدبر محركها ، وتصبح ساكنة وبقدمتها تواجه بداية الطريق ، في نفس اللحظة التي توقفت فيها السيارة الأخرى ، وفقد منها الأذئاب الثلاثة ،

٥٠

— يا إلهي !! لن أعسر عمري كله في محاولة تدمير
ماحدث لرجال الشرطة
وحالت منه النظافة إلى حيث فقدت (منى) وعينا
داخل السيارة ، واستطرد :
— يبدو أنه لا مفر من مواصلة الحرب .

* * *

وقف رجل الشرطة بملأ رأسه وهو يتطلع في دهشة
إلى السيارة التي تمخضت مقدمتها ، والرجال الثلاثة
الذين صالوا حوها فاندس الرص ، ثم عاد إلى رجل
عجوز يقف إلى جواره ، ويسأله :
— هل لك أن تصيد على سامي مرة ثانية ما رأيته
يا مستر (جورج) ؟

أفرد العجوز كفيه ، وكأفما يملأ الانفصال ، ثم
أشار إلى نافذة صغيرة في الطابق الثاني من أحد أبنية
الشارع ، وهو يقول :
— لقد كنت أجلس في نافذة منزلي ، بعد أن جفاني

٥٢

النوع هذه الليلة ، وشاهدت تلك السيارة الصغرى
تدفع داخل الشارع في سرعة مذهلة ، فلا ريب أن
قائدها قد فرجس بالسيارة الصغيرة في مدخل
الشارع ، فقد حاول تفاديا في مهارة ، ولكنه في النهاية
ارتطم بها .. و ...

وخله الانفعال ، حتى أنه أعاد يلوح بيديه واصفا
الحادث دون أن يتحدث ، فقال الشرطي في عجز :
— حسنا .. حسنا .. لقد كفر حسي عجاز
بالذات ، كما يحدث في الأفلام الأمريكية ، ثم استر ثانية
على الأرض .. لقد سمعت هذه القصة ، ولكنك لم تخبرني
كيف وصل هؤلاء الرجال الثلاثة إلى هنا ، وكيف
حطمهم رجل واحد هكذا .

مضى العجوز يدرج في حاس كيف كفر (أدهم)
من سياحته ، وطاو في الهواء ، صقفت على الرجال
الثلاثة ، وأخذ يبالغ في وصفه القتال بأطرافه ، حتى
أوقفه الشرطي قائلا :

٥٣

— شكرا يا سيّد (جورج) .. لقد أفدتنا
كثيرا .

انصرف العجوز وهو يشعر بالفخر على حين انصى
أحد رجال الشرطة على أذن الشرطي الأول وحس :
— ما رأيك فيما قاله ؟

هز الشرطي كتفيه وقال

— لا يمكنني تصديق كلمة واحدة بالطبع ..
أراهنك أنها معركة بين فريقين قهين .

ثم أشار إلى الرجال الثلاثة ، الذين بدأ نقلهم إلى
عربة الإسعاف ، وأردف :

— هل تصدق أن رجلا واحدا يمكنه أداء كل
هذا ؟! إن ذلك مستحيل يا صديقي ... مستحيل ..

* * *

فصرت (منى) بصداق شديد حينما استعادت
وعينا ، وفتحت عينيها في صعوبة ، وسأله
— ماذا حدث ؟ .. هل نخططنا ؟

٥٥

— أين ذهب بعد ذلك أيها العجوز ؟
أشار العجوز بيّنه إلى سيارة (أدهم) ، وقال :
— لقد رأيته يخرج فتاة حسانا فافقة الرص من
السيارة ، وجلسا بين ذراعيه ، ثم انطلقا يصقروا
بصدا .

مط الشرطي شفيه بشكل ينم عن عدم تصديقه
لحرف واحد مما يطلق به العجوز ، وقال في شهجة من
بمادات حفلا .

— إذن فقد كفر بالسيارة ، وهبط بها بكل مهارة ،
ثم اشترك في قتال عنيف مع ثلاثة من الصداقة ، وهزمهم
في بساطة ، ووجد في نفسه القوة بعد ذلك أن يحمل
الفتاة ، ويحلو بها مصدا .. أليس كذلك ؟

أجاب العجوز في حاس :

— هذا ما حدث بالفعل .

رأت الشرطي على كتف العجوز ، قائلا :

٥٤

ابنهم وهو يقول :

— هذا لله على سلامتك يا عزيزي .

تلفت حولها تطلع إلى المنزل ، وهي تقول في دهشة :

— يا إلهي !! كيف محولا ؟

أجابها في هدوء :

— لقد أراد لنا الله (سبحانه وتعالى) أن نواصل

القتال يا عزيزي .

سأفه وهي تتحسّس مواضع الألم في جسدها :

— ماذا سنفعل الآن بعد الأساليب العلواني الذي

واجهنا به (أدولف) ؟

سحب (أدهم) مسندته ، وأخذ يمشو خزانته

بالرصاصة في صمت ، ثم قال في هدوء يذكر بالقوة في

داخله .

— لقد حذرت ذلك الوعد ، ولكنه رفض الاستماع لما

أقول يا عزيزي .

بدأ القلق يبحث بأعصابها ، وهي تسأله :

— ماذا تعني بهذا القول ؟

قال في هدوء وكأنه يتعاضد إيجابتها :

— أعتقد أنك تحتاجين لبعض الراحة يا عزيزي ،

ستقنين هنا حتى أعود .

سأفه في جدّة :

— ماذا تنوي أن تفعل يا (أدهم) ؟

ابنهم اجسامه مغطىة ، وهو يقول :

— هل نسيت فأرقى الركب أيها الفليب ؟

زوت ما بين حاجبها في غضب ، وسأفه في طعنة

أقرب إلى الترويض :

— أين ستذهب وحده ؟

أعاد عزائلة المسنس إليه ، ورفع صمغ الألمان في

هدوء ، لم تطلع إليها في ملاح جملة عذر بالخطر ،

وهو يقول في هدوء عفيف :

— سأذهب لزيارة ذلك الوعد في مقرة وسط

الأحراش يا (متي) ، سأحطم وكر اللذئاب البيض

فوق رؤوسهم جميعاً

٧— تحت ضوء القمر ..

انقضت الغيوم عن قمر كامل الاستدارة ، يلقى

ضوءه على أحراش ذلك الجزء المنزل خارج (كيب قانون) ،

واحتفى (أدهم صوي) خلف شجرة ضخمة ،

يراقب بمنظاره المقرّب تلك القبلا التي ألقاها (أدولف

سولبي) وسط الأحراش ..

كانت القبلا تبدو واضحة تحت ضوء القمر ، وهي

تتكوّن من طابقي ، تزيّن العاريّ منها شرفة واسعة ،

تحوى بعض المقاعد الخيزرانية المتناثرة ، ومنطقة

صلبة ، اصطفت فوقها الكويش ، وزجاجات الخمر ،

وألمعها جلس (أدولف) بحمده الضخم ، وإلى جواره

(ساندور) ، يجرعان الخمر ، ويتنهمان بعض اللحوم

المشوية ، وهبط (أدهم) بمنظاره إلى أسفل ، ليروى

لثلاثة رجال ضخم الجفء ، يهرمون حول القبلا لحراسها



في الليل .. وهاد (أدهم) يرتفع بمنظاره إلى الشرفة ،
وداعب عناصر المنظار لتقرب الصورة من وجهي
(أدولف) و (ساندرا) ، وصالت عنده وهو يرتقيما في
إمعان ..

وهناك كان (أدولف) يقول في جدّة :
— كان ينبغي أن يسفروا سيارته لسفراً ، هكذا يكون
المعامل مع من هم على شاكلة ذلك الشيطان المصري .
أجابته (ساندرا) في غضب :
— إن مراقبنا يدعي أنه لم يجهلهم من الوقت ما ...
قاطعه (أدولف) في غضب هادر :
— لقد كانوا يعلمون أنه يهجر في سرعة ، إنهم
ليسوا هؤلاء .

ثم نهض من مقعده ، وأخذ يلوح بلواحيه وهو يمشي
إلى حاجز الشرفة ، مسطوفاً :
— لقد فشلوا ، لأنهم تعاملوا معه كعصم عادي ،



وأخيراً (أدهم صدى) خلف شجرة ضخمة ، يراقب
منظاره المقرب تلك الليلا التي انقضت (أدولف حزين) .

— لقد وصل ذلك الشيطان المصري إلى هنا .
تضرعت دهشة بالغة على وجه (ساندرا) ، وهم
يسأل زعيمه ، إلا أنه تذكر أوامره ، فهاد يلوح
بالصمت ، على حين أودف (أدولف) قائلاً :
— إنه يراقبنا في هذه اللحظة من خلف إحدى
الأشجار ، ولئن يلبث كمعادته أن يحاول التسلل القليل ،
غير مبال برجال الحراسة
حالت من (ساندرا) الطاعة لطاقية إلى حيث تمتد
الأحراش أمام القليل ، ثم ضغم بكلمات غير مفهومة ،
فاينهم (أدولف) في قراسة ، وهو يقول مهابتاً :
— لا نهت أنك تحاول سؤالي عن كهيبة معرفتي
ذلك . إنه سوء القمر يا (ساندرا) .
تعمل (ساندرا) في مقدمه دلالة على عدم اكتفائه
بهذه الإجابة ، فاستطرد (أدولف) :
— إنه يستخدم منظراً مقرباً ، ولقد انعكس ضوء
القمر على عدسات منظاره ، فراقبه ، ولقد طلبت منك

لقد ظنوا أنهم ذئاب ، ولم يقدروا الرجل حتى قدره ، إنه
ذئب حقيقي ، ذئب ترعف أمامه الذئاب و ..
وفجأة .. جر (أدولف) عياره ، وألقى حاجباه
في دهشة وتساؤل .. ولما كان (ساندرا) لم ير
ما أصاب وجه زعيمه من تبلل ، فقد قال يستحثه على
مواصلة الحديث :

— أهو يخل كل هذه الخطورة يا زعيمى ؟
استدار إليه (أدولف) في هدوء ، وإن نشت
ملاحظته عن الفعل بالغ ، أثار دهشة (ساندرا) ، الذي
هم باليهوض من مقعده وهو يحث :
— ماذا حدث أيها الزعيم ؟
تروح له (أدولف) بكلمة خفية ، وقال في حزم :
— لا تتحرك أو تتطرق بكلمة يا (ساندرا) ، استمع
إلى فقط .

ظهرت الدهشة على ملامح (ساندرا) ، ولكنه
أطاع الأمر في صمت ، واستمع إلى زعيمه وهو يواصل
حديثه المنفل ، قائلاً :

الصمت ، وأوليه ظهري خشية أن يكون باستطاعته قراءة حركات شفاهنا ، لقد كشفناه دون أن يدري يا (ساندر) .

ثم اتسم في وحشية ، وهو يقول في انفعال متزايد :
— نُر رجائنا بالاستعداد لالتصاصة ، حيث سيحاول التهام القرية من الأنعام ، دعهم يجمعون كلهم في الأنعام ، وسأقتل من يمدى يده الأخر منهم ، لقد سقط الشيطان المصري ، ومنجملها مقطعه الأخيرة .

مضت نصف ساعة كاملة كنت فيها عيون الذئاب ، وهم يراقبون ما يحيط بالقبلة من أحراش ، وبدأ اللبل والثلج يصيران إلى نفوسهم ، والتفت نظراتهم في ضيق ، فقد كانوا سبعة رجال ، استيقظ أربعة منهم ليضمو إلى رجال الحراسة الثلاثة ، وازدادت أعصابهم توترًا مع مرور الوقت ، دون أن يحدث ما يثير

الاعتياء ، وفي نفس الوقت نظر (أدولف) في توتر إلى ساعة التي تشير إلى الثالثة والنصف صباحًا ، وقال في جدة موجتها حديده إلى (ساندر) :

— لا يمكنني أن أكون هنا ، لقد رأيت لعنان عدسات متظاره و ...

قاطعته (ساندر) ، وهو يقول في ترويض :

— لقد أخذ حيوانات الأحراش أو ...

صرخ (أدولف) في وجهه :

— الحيوانات لا يمكنني ضوء القمر بهذا القدر أيها

المعسر .

عقد (ساندر) حاجبيه في غضب ، وللا بالصمت ، على حين واصل (أدولف) حديثه ، قائلًا في عصبية

— إنه لم يضع خطه بعد ولا شك ، أو أنه يحاول مفاجأتنا ، أو ...

— اصمت يا (ساندر) ، إنك تفتني من التفكير المثزن .

ولحظة .. قلز (ساندر) من مقعده ، وانتهت يده في صرة غريزية إلى جيب سرواله ، ولكنها تسمرت فجأة قبل أن تصل إلى هدفها ، وانحرف جسد (أدولف) الضخم في مزيج عجيب من الدهول والحروف ، والمغضب ، فقد ارتفع من مدخل الشرفة صوت هادئ ساخر ، يقول صاحبه :

— مملرة لأنني تركتكم تنظرون طولًا أيها الأوغاد ، ولكن هأنذا .

استدار (أدولف) في جلة ينظر إلى مصدر الصوت ، حيث تسمرت عين (ساندر) الدهولان ، وكاد يتفجر في بكاء التهر والفيظ ، عندما وقع بعينه على (أدهم صري) ، الذي رفع هادئًا ، ساخرًا يضرب اليها المسنن الذي انتزعته مسبقًا من

أخذ يمشي في احتال ثالث ، وهو يتحرك في أرجاء الشرفة بصفية ، وتردد (ساندر) طويلاً وهو يراقب توتر وجهه ، ثم قال .

— ربما اكتمل بمراقبتنا فقط ، ونصرف .

توقف (أدولف) عن التحرك بصفة ، وقطب حاجبيه في ضيق ، فقد بدأ تصور مساعده الذي طالما وصفه باللباء منطقيًا ، مقبولًا ، ولكن عداد (أدولف) أف أن يعترف بصحة هذا الاحتمال الجديد ، فلوح بدراعه وهو يقول في غضب :

— هذا غير محتمل ، لأنه فقط يحاول كسب مزيد من الوقت .

سأله (ساندر) في خيرة :

— ولم يفعل ذلك ، مادام لا يعلم أننا ننظره ؟ مرة أخرى خرج (ساندر) بتليل منطقيًا ، واجتاح الغضب جيد (أدولف) ، فصرخ في وجه معاولة .

(سائدر) ، وكان (أدهم) يقول في لهجة تظفر
سخرية -
— ماذا أصابك ؟ هل أدهشتك رقتي يا وغد
الأوغاد ؟



٦٨

٨ — أحراض الموت ..

انهار (أدولف جونين) فوق القرب المقاعد إليه ،
وسأل على وجهه عرق غزير ، وهو يغمغم في حشرجة :
— كيف ، كيف وصلت إلى هنا ؟
هزّ (أدهم) كتفيه لي استهتار ، وقال :
— لقد فوت حول القليلا ، وتسلّلت متبسّراً
بالأحراض ، وس حسن الحظ أنني لم أجده رجلاً واحداً
من رجالك عند الباب الخلفي
ثم أدوف لي سخرية ، وكأنه يلقن قلب (الموساد)
درماً :

— كان ينبغي أن تزيل تلك الأعصاب المرتفعة من
حول القليلا أيها الوغد ، إنها عالية إلى درجة تسمح
بجمل قطع من الأظفار في وضع النهار ، دون أن ينته
رجل حاد المهر .

٦٩

جفّف (أدولف) عرق الخوف براحته ، وغمغم في
شعوب :

— هل كنت تعلم أنني أنظرك ؟

اجسم (أدهم) لي سخرية ، وقال :

— لقد كنت أراقبك وتابعك الوغد من خلال
منظارى المقرّب ، وكسنت أسطول قزاة حركات
شفاهكما ، حينما ظهر على وجهك انفعال عجيب ،
واستمرت فجأة عروني ظهورك ، ثم ظهرت الدهشة على
وجه معاولك ، وأحد غلبس انظر إلى حيث أعمى ،
وكنت أنت صمّدت إليه في انفعال شديد ، دون أن
تبس هو بيت خلة ، وكان من السهل أن أستعج أنك
قد كشفت مرافقي لك بوسيلة أو بأخرى .

عاد (أدولف) جفّف عرقه لي إحباط ، هل حين
واصل (أدهم) حذيه قائلاً :

— ولقد أعطت أنت بجمع رجالك كلهم
لواجبه حيث رأيي ، وهذا خطأ تكفيكي خطر ،

٧٠

لقد مكّنت ذلك من الدخول إلى القليلا في هدوء
وبساطة عبر الجانب الآخر ، واستخدمت معكم بعض
ما تعلمه من أساتذة التخطيط الحربي لي (مصر) ،
فركنكم منتظرون طويلاً حتى يصل نوّركم إلى ذروته ،
وبتأبكم الشك فيما ذهبت إليه ، ثم باختمكم بكفل
بكفل تحطم البقية الباقية من أعصابكم .. إنها خطوة
سهلة تكفي للإيقاع بفئران منكم

شعب وجه (أدولف) ، وغمغم في صوت
متعشّج :

— ماذا تريد يا مستر (أدهم) ؟

أجاب (أدهم) لي صرامة ، وهدوء :

— نفس ما طلبت منك في اللقاء البلي أيها الوغد ،
وسأضيف إلى ذلك أعمالاً مستجيلاً بما التفتت منظمك
الإجرامية في حلّ المصريين .

حارل (أدولف) استجماع شجاعته ، وهو
يقول :

٧١

— لا تنس أنك نصف وسط أرضي يا مسمر
(أدهم) .

اتسم (أدهم) في سفينة واستجار ، وهو يقول :
— لا يمكن لرجالك أن يروى من هذه الزاوية أيها
الوغد ، ولو أنك حاولت مجيهم إلى وجودي ،
فسيسبق موتك ذلك .

ازدد (أدولف) لعابه في صعوبة ، وحاول أن يندو
قنًا وهو يقول :

— أنت لا تلجأ للفيل إلا نادراً يا مسمر (أدهم) ،
هذا ما أخبرونا به في دراساتها عليك ، أنت خصم
عجيب تشبه بفرسان المصور الماسية ، ولن تقتل أبداً
رجلاً أعزل .

اتسم (أدهم) ابتسامة باردة ، وهو يقول :
— ولكنني أسطيع تحطيم تلك مثل هذا الرجل ، في
صرع متكافئ بالأذى العانة أيها الوغد .

تلاشت محاولة (أدولف) للتظاهر بالشجاعة ،
وعاد وجهه إلى خصمه وهو يقول :

— إن ما تطلبه مسمريل يا مسمر (أدهم) ،
سأجدهم لو أني قُلت ذلك .

هز (أدهم) كتفيه ، وهو يقول :
— وسأعندك أنا لو لم تفضل أيها الوغد .

وفجأة .. وبدون سابق مقدمات ، استجار (أدولف)
إلى حاجز الشرفة ، وصرخ في مزيج من الرعب واليأس :
— إني يا رجالي . إنه هنا .

ولم يكذ (أدولف) بفعل ذلك ، حتى انقض
(ساندور) على (أدهم) ، محاولاً انتزاع مسدسه .

كانت مبادرة (أدولف) قد قلبت موازين القوة
فجأة ، فلقد كان معقاً أن (أدهم) يفضي اللجوء إلى
القتل ، وهو في الوقت نفسه معرض لمزج سبعة رجال
مسلحين بالأشعة الناعمة ، ومقاومة (ساندور)

و (أدولف) ، والعمل على نجاح مهمته في الوقت نفسه ،
لم يكن الضرور من صفات (أدهم) يوماً ، ولكنه كان
يعلم جيداً أنه أقوى رجال إدارة المختبرات العسيرة ، وأن
قتله في هذه المهمة ربما يعني أن توصم (مسمر) بجرمة
قتل الوطنيين المزوج في (جنوب إفريقيا) إلى الأبد ، لذا
فقد وجد نفسه ملزماً بتحقيق النصر ..

دفع هذا الشعور طاقة هائلة في عروقي (أدهم) ،
ولم يكذ (ساندور) بنقض عهده ، حتى يافوه بلكمة
ساحقة غاصت في معدته ، وتأزّه لها هذا الأخير في ألم
وعيب ، وقبل حتى أن تكتمل تأوهات ، كان (أدهم)
قد حطّم لكفة السفلي بمقبض المسدس الذي يسكه
بيمينه ، وسقط (ساندور) فالفاد الوعي في نفس اللحظة
التي ارتفع فيها صوت الذئاب السبعة وهم يسرعون إلى
الشرفة . فالتفت (أدهم) إلى (أدولف) ، وقال في
صرامة جمّدت الدم في عروقه :

— أعد جهاز التسجيل أيها الوغد ، فستشمل
اعتزالك بعد أن أتني من تحطيم ذئابك السبعة .

وفي نفس اللحظة التي يعلق فيها (أدهم) آخر
حروف كلماته ، اندفع الرجال السبعة داخل الشرفة ،
وارتفعت فرخات مسدساتهم نحو (أدهم) ، الذي تفرز
جانباً في مهارة ، وأطلق رصاصات مسدسه الست
دفعة واحدة .

توقّف رجال (أدولف) في دهول ، حتى ذلك
الذي ظل محطّفاً بمسدسه منهم . فقد أحسّرت
رصاصات (أدهم) الست التي انطلقت متعاقبة في
سرعة مذهلة مسدساتهم ، دون أن يصاب أحدهم
بطلش واحد ، كان هذا يوحى بأن خصمهم لا يقن
إطلاق النار فحسب ، بل إنه يعلم أيضاً كيف يتقاتل
الرجال .

وصرخ (أدولف) ليخرج رجاله من دهولهم :
— حطّموه يا رجالي . أتم سبعة في مقابل واحد ،
مرفوه إني

اندفع الذئاب الستة الذين فقدوا أسلحتهم نحو (أدهم) ، وعبرتهم تصرع بالشر ، وألقوا مرة أخرى أنهم فاضلون ثقافاً في التكيف الحرفي ، فقد صنعوا من هجومهم سائراً يتحول بين مبدس رجلهم السابع ورأس (أدهم) ، الذي استقر بهم كما ينبغي أن يفعل ضابط قوات خاصة سابق ، وضابط مخابرات مصري حالي يعرف باسم (رجل المستحيل) .

فقد تحركت أطراف (أدهم) الأربعة دفعة واحدة ، وعلى نحو مذهل ، حتى بالنسبة لطلال العباب القوي في أولياد عالمي ، وحطمت قبضة اليمن تلك أقرب الرجال إليه ، وهشمت اليسرى ألف الثاني ، وارتفعت قدمه اليمن لطرف في مدة الثالث ، واليسرى لتوكل وجه الرابع .. كل هذا في اللحظة الأولى من القتال ، ولم تكد تبدأ اللحظة الثانية حتى تلقى الرجل الخامس لكمة في منتصف صدره ، هشمت إحدى ضلوعه ، وتحطمت رقبة السادس بلكمة أخرى هوت عليه كالساعة ..

وقف الرجل السابع مرتبكاً حائراً ، وبهذه تحريك عنة ومرة ، في محاولة لإيجاد لقمة يطلق منها النار على رأس (أدهم) ، ولكن اللكمات والزكلات المتوالية التي كان (أدهم) يطلقها عنة ومرة ، أصابه بخزرة بالغة ، وعشى أن يطلق رصاصة واحدة دون أن يتبين عصمه حينها ، وسط ذلك السيخيم من الأثترع والسيفان المشابكة ، وزاد من حيرة وارتباكته تلك الصراعات التي أخذ يطلقها (أدولف) في محاولة لحث رجاله على هزيمة خصمهم الشيطاني الرهيب ، الذي يقاتل في بسالة ككيفية كاملة ..

وأخيراً .. طن الرجل السابع أنه قد وجد الطريق إلى رأس غريمه ، فأسرع بهبط وناد مدسه ، وانطلقت الرصاصة من فوهة المدس تحمل توقيع الموت لمن تقضي به ، وتوقف الجميع بهط .. وتوقف الرجال الستة لأنهم فقدوا وعيهم ، وتسمّر الرجل السابع على صوت رصاصة وهي ترتطم بعظام صلبة ، وأصابت

رصاصة لموت هدفاً ، وانقض ملك الموت ليحصل على فريسه ، وسط أحراش (كيب تاون) التي لا ترحم أحداً

٩ - أطراف الفشل ..

كان أول صوت تسمعت بعد ذلك التوقف المفاجئ ، هو صوت (أدولف جوين) ، الذي أطلق نواكراً كالفرار الذليح ، وجعلت عينه حتى كادت تصفران غير متقلبة ، وتدفق لسانه خارج فمه ، في شكل تحف مزعج ، وتدفق الدم غزيراً من اللقبة المتألم الذي صنعه رصاصة رجله ، وغطى الدم وجه (أدولف) وتقاطر على أرض الشرفة ، ثم سقط جثة هامدة فوق المتهددة ، فسقطت زجاجات الخمر ، وأطبق اللحم التي امتلأ بها جسده عن آخره ، وسقط معه أمل (أدهم) في الحصول على اعتراف مسجل براءة (مصر) من جريمة قتل الوطني الزوج ..

اتسمت عينا الرجل السليح في رعب ، وقد تبهر لداحة ما ارتكبت يدها ، وقبل أن يستعيد تتركه كانت



قدم (أدهم) قد أطاحت بمسدسه ، وجنّده (أدهم)
من قميصه في قوة ، ووقع قبضه ليكنمه ، إلّا أن الرجل
صرخ في رعب وهو يخفى وجهه بكفيه :
— كلاً .. كلاً .. سأفعل كل ما تطلب .

كان الحنف المتوالي ، ومصرع الرعيم قد حطما
أعصاب الرجل ، وكان مستعداً للصاوت بصدى ،
فدلفه (أدهم) نحو أقرب المقاعد إليه ، وسأله في
صرامة :

— هل أنت مستعد لتوقيع اعتراف بما فعلته
المنظمة ، وبقتلكم ضابط الخابرات المصري الذي
سبقتي إليكم ؟

ظهرت التهمة في عيني الرجل ، وقال :
— سيفترقني لو أننى فعلت ذلك ، إنهم لا يرحمون
من يلقى بهم .

بدت عينا (أدهم) صارتين ، وهو يقول :
— سأقتلك أنا لو أنك لم تفعل .

٨٠

ظهر اليأس في عيني الرجل ، وقال في هبة أقرب
إلى ليكاء :

— افعل إذن ، فلا يهب أنك مسقطى بوسيلة أكثر
رحمة مما يصلون .

صمت (أدهم) لحظة مفكراً ، ثم سأل الرجل :
— هل يمكنك أن تدلي باعتراف غير زمني إذن ؟
تطلع إليه الرجل ككثيري يعلق بأمر أمل في النجاة ،
وصاح :

— سأفعل كل ما تطلبه ثقتي ، عندما أجد أن يعلم
ذلك

ابسم (أدهم) وهو يقول :

— حسناً يا رجل .. ستخبرون بكل ما فعلتم

تولفت سيارة صغيرة نقل (منى توبق) ، أمام
مزل (مونساه) ، في ذلك الحين الصغير من أحياء
(كيب تاون) ، وقهرت هي منها بأدية القلق ، ودقت

٨١

(٩٠ - رجل العمل - طب الأعراس - ٣٦)

— لا يهب أنك أخطأت يا سيدي

تتهدد (منى) في ضيق ، وحاولت تذكر عبارة
السر التي اتفق عليها مسبقاً ، ولكن حالة القلق والتوتر
التي تمر بها وقفت حائلاً دون ذلك ، فقالت في ضيق :
— صليقي أيا المعجوز ، لقد كانت هناك عبارة
سريّة تبدأ بحدث عن الأسود و ...

قاطعها المعجوز ، قائلاً في برود وهو يعلق الباب :

— لقد أخطأت يا سيدي .

لم تجد (منى) مفراً بما فعلته ، فقد أخرجت فجأة
مسدسها الصغير ، ووضعت على رأس المعجوز وهي
تقول :

— حسناً أيا المعجوز .. لقد اضطررتني إلى هذا

الأسلوب .

شعب وجه المعجوز وهو يقول :

— هذا اعتداء على حرمان خاصة يا سيدي .

قالت في برود :

باب المنزل غير مألوف بقدمها في مثل هذا الوقت من
الصباح المبكر ، وأطلقت بعض الوجوه السوداء ، تعلّق
في دهشة بملك البيضاء التي فتحت منى المخرج في مثل
هذا الوقت ، ولم يلبث الزمعي المعجوز أن فتح باب المنزل
الصغير ، ووقف يتطلع إليها في دهشة ، ثم هضم في
سخط

— إنها الرابعة صباحاً يا سيدي و .

قاطعته بسؤال حاسم :

— أريد مقابلة (مونساه) .

أعطى المعجوز دهشة ، وهو يقول :

— لا يوجد من يحمل هذا الاسم هنا يا سيدي .

أجابته في عسرة :

— لقد قابلته هذا الصباح ، وكنت أحمل بشرة

سوداء ، بصحية زبل في يدعي

قاطعها المعجوز ، وهو يتأمل ملامحه البيضاء في

شكل :

٨٢

٨٣

— إننى أتحمل النتائج .

أصبح لها العجز الطريق ، فاندفعت إلى المنزل ، وانجذبت مباشرة إلى السائر الذى يطفى الحائط المقابل ، فأزاحه ، ومدت يدها فتفتح الباب الداخلى ، ولكنها فرجت بصوت يأتى من خلفها قائلاً :

— لا يوجد أحدها سيدي . لقد انصرف الجميع . استدارت (منى) إلى مصدر الصوت ، فأت رجلًا رقيقًا يهتوب إليها مسلمًا شخصًا ، ويسمى اجسامه لم ترق لها ، وأرادت الابتاس حسن نيتها . فأجهدت سدسها وهي تقول :

— إننى ألقى إلى المعسكر الصديق ، وأنت السيد (يسوى) .. أليس كذلك ؟.. لقد تقابلنا هذا الصباح .

بدت اجسامه حقيقة ، وهو يقول :

— لست أذكر هذا يا سيدي .

صاحت فى بأص :

— حاول أن تتذكر يا سيدي (يسوى) ، الأمر خطير للغاية ، فينكم حائل أخشى أن يتسبب فى مصرع زيمى و .

قاطعها قائلاً فى برود

— أعلم ذلك يا سيدي .

صاحت فى أهل :

— أخيراً إذن أين أجد (كوانا) ؟.. لقد وصلت

معلومات جديدة و .

عاد يقاطعها ، ولقد تحولت اجسامه إلى تعبير عيم :

— متخبطتى كل مالدبك من معلومات

يا سيدي

نظرت إليه (منى) فى دهشة ، على حين صاح العجز فى اهتمام .

— مادمت تعرفها ، فلم لا تدعوا موانسا و .

وفجأة . بر العجز عبارته ، واتسمت عيانه رغبنا



استقرت لى رأس العجز ، الذى سقط جثة هامدة .
دون أن يلبس بيت شقة ، وتراجعت (منى) فى فرع

وهو يحدق فى وجه (يسوى) فى دهول ، وغمغم
مخبرجا

— إنه لم يكن (كوانا) .. إنه

انطلقت رصاصة من المسدس عبر كاتم للصوت ،
وصدر منها لصيح كالأفعى ، ثم استقرت لى رأس
العجز ، الذى سقط جثة هامدة ، دون أن يلبس بيت
شقة ، وتراجعت (منى) فى فرع وهي تقول :

— يا إلهى !! أنت .

أجابها (يسوى) فى هدوء :

— نعم يا سيدي ، لقد أحطاتم بشأن (كوانا) ،
وسيكون مصرعتك ممن هذا الخطأ .

ظلت (مى) تخدق لى وجه (بسوى) دقيقة كاملة فى دخول ، ثم لم تلبث أن تحالكت أعصابها ، وقالت :

— ولكن (كونا) هو الذى ..

فأصعها (بسوى) ، وهو يقول لى ضجة ساهرة .

— هو الذى قال لى السيد (أدهم صبرى) أبيض البشرة ، وهذا مادفعكم إلى الشك فيه أليس كذلك ؟

ثم أطلق ضحكة ظافرة مع علامات الدخول التى ارتسمت على وجه (مى) ، وتابع قائلاً :

— إن (كونا) غيبى كالأخوين ، إنه يؤمن بالقييات كالشعر والثرى وخلافهما ، ولقد كنت وزملائى من (الموساد) نتوّلح أن ترمس الغيابات

امصرية شيطانها الشهير لإنهاء القضية ، مدام زميله السابق قد تمّ مصرعه على أيدينا ، وفى اليوم السابق لقدومكم ، أوّلت أنا (كونا) أننى رأيت رؤيا تقول إنه سيصل إلى مصر رجل - مهاجرات مصرى يدعى (أدهم صبرى) ، وأنه أبيض البشرة . وسيظهر بمعاونتنا ، ولكنه سيقدونا إلى حضا فى النهاية .

وابتسم كمن يشعر بفخر لما فعله ، ثم أردف .

— ولم يكذب الشيطان المصرى يعلى عن اسمه فى حجرة القيادة ، حتى أطلق (كونا) شهقة دهشة ، فقد ظن هذا يقدر زى ، ودفعته فقه هذه إلى أن يعلن أن (أدهم صبرى) رجل أبيض متكرّر فى هيئة ربحى ، وكان هذا كليلًا بمقتداعكم حتى تصهّروا أنه الجاسوس المشهود .

مطّ (مى) شفيتها ، وهى تقول :

— لقد تحدّثنا بالعمل .

ابسم لى لخر ، وقال :

أسرارهم وتتبع خطواتهم ، وإيقاف أعمالهم وتطوّرهم ، وهم يظنون أنهم يعمدون تحت ستار من السرية والأمن ، والدليل على نجاح أسلوبي ، هو نجاحى فى التوصل إلى ذلك المنصب القيادى فى منظمة (الأسود السود) .. لقد نجحت فى خداعهم جميعاً .

عقدت (مى) ذراعها أمام صدرها ، وسأله

— لماذا حاولت تعطيل العلاقة بين (مصر) ومواطنى (جنوب إفريقيا) إذن ؟

مطّ شفيتها فى غرور ، وهو يجيبها قائلاً :

— لقد بدأ هؤلاء المواطنون الأغنياء ينظرون إلى (مصر) ، وكأنها مهد الحرية وشعاع الأمل فى (إفريقيا) . وبدعوا يطلّعون إلى مافعله بالاستعميرين ، وهنا كان لابد من تعطيل مظهرهم الأعلى هذا ، وفى هذا الخصوص لم يكن أمامنا سوى قتل بعض الوطنيين على نحو بشع ، وإلصاق التهمة بالسفارة المصرية .. لئلا سهلة .. أليس كذلك ؟

— لقد تأكّدت من ذلك ، سميتها أخيراً (مونا) ، أنكما حدّثتاه من (كونا) .. لقد تصهّرت أنكم تتعاملون مع أشياء ، ولعل هذا يؤكّد لك أننا أدركى جهاز غابرات فى العالم أجمع .

تأمّله (مى) لحظة لى صمت ، ثم سأله :

— لماذا لم تحاروا القضاء على منظمة (الأسود السود) مباشرة ، بدلاً من التمسّس عليها طوال الوقت ؟

صاحت فى سحرة ، وقال :

— سؤاليه هذا يثبت أننا الأقوى والأذكى .

ثم ضاقت عيناه ، وهو يصرّخ قائلاً :

— لو أننا قضينا على منظمة (الأسود السود) ،

ليزوت منظمة جديدة تلمّض من أجل الحرية ، كما يحدث فى كل البلاد المحتلة ، وبدلاً من اللجوء إلى ذلك الأسلوب الأحمق ، فضلك أن تترك (الأسود السود) يعمدون تحت أبصارنا ، وكنا دائماً قادرون على معرفة

سأله في حدة :

— ومناذا يفيد (الموصاد) من ذلك ؟ إنكم لا تحطون (جنوب إفريقيا) .

أجابها في برود :

— ولكن لنا مصاح عديدة تعتمد على بقاء الوصع على ماهو عليه هنا .. ثم إن علوى التجوّر تظن دائماً بشكل يهيب لنا الكثير من المشاكل في درسى

قالت في لهجة ساخرة

— الطرود على أشكالها تقع .

هو كفيه وهو يقول :

— ربما !!

ساد الصمت لحظات ، ثم عادت (منى) تسأله :

— من قل زميلنا السابق ؟

اجسم وهو يقول

— لقد نجح زميلكم السابق في الوصول إلى كشف شخصيتي ، وكان هذا يمثل خطراً بالغا على لحظتي ، والأدهى أنه نجح في الوصول إلى وكسر الرهيم

(أدرف) ، وكاد يحصل على وثائق خطيرة تدبر تنظيم (الذئب الأبيض) بأكمله ، ولم يكن أمامى سوى قطه

ظهر الغضب على وجه (منى) ، وهى تقول :

— هل قطه أنت ؟

أجابها في سخرية :

— إننى أعشق قتل صباط المخابرات المصرية .

أشارت (منى) إلى جثة العجوز ، وقالت :

— هل يعشق قتل المستنئ أيضاً ؟

أجابها في برود -

— من قال إننى قطه ؟ أنت التى فعلت ذلك .

اتصت عينها دموعاً ، وهى تقول -

— أنا ؟. هل ترى الصاق التهمة بى ؟

اجسم في شراسة ، وهو يقول :

— ماأزع كاتم الصوت من مسدى ، وأطلق منه

رصاصتين ، مستقر أولهما في رأسك الجميل ، والثانية

أطلق ضحكة ساخرة عالية . إجماعاً بخطه الخبيثة فدمعت (منى) .

— بالها من خطة شيطانية !! ستكون زعيماً لمنظمة

مرداء ، وعميلاً لمنظمة بيضاء في الموقف ذاته ، وستبدو

المنظمات متصارعتين ظاهرياً ، ولكنهما متعاونتان

داخلياً ، فلا ريب أنك ستقود (الأسود السود) إلى كل

ماهو ضد لحظة بمنهم عن الحرية .. أليس كذلك ؟

ضحك في وحشية ، وهو يقول .

— سيساعدنى حماسهم الأعصى على ذلك ، وستبدو أعمالاً لورية عظيمة ، وسعتمد على بعض

الانغبيالات والأعمال التخريبية التى تجعلهم يدون في

صورة همجية ، فقدمهم تأييد العالم أجمع .

اجسم (منى) في سخرية عجيبة ، وهى تقول .

— باللك من متفائل !!

اجسم حاجبه في غضب ، وهو يقول :

— سيعرج لحظتي أيتها المصرية و

في سقف المنزل ، وحيما يزع الوطيد إلى هنا ، سأبدي الجزع أمامهم ، وسأقول إنك قتلت العجوز ، فاضطرت لتلك دفاع عن نفسى

سأله في غضب ، هو أن يبدو عليها أثر الخوف :

— وهل تظن أنهم سيصدقوك ؟

تألفت عيابه في وحشية . وهو يقول

— إن عقروهم الضعيفة يجعلهم شديدي الحساسية

نجاه البيض ، وهم يملون إلى تصديق كل ما يهيب إلى

البيض من أحداث إجرامية ، ولا تسمى أن الجميع رأوك

عبددين العجوز بمسدسك ، وتدخلين إلى المنزل غيرة .

سأله في هدوء :

— وهل تظن أنك ستجو ٢

هو كفيه قاتلاً :

— بالطبع .. بل ربما أقامدى : فأطلق النار على

(كوكنا) بحجة أنه جاسوس قادر .. ولن يدهشى أن

أصبح عملاً قريباً زعيم منظمة (الأسود السود) .

٩٩ — المفاجأة ..

حدّق (بسوى) فى الجمع الذى يرايه فى زهرل ،
وحاول أن يمسك خيوط اللعبة مرة أخرى ، فصاح
مظاهراً بالجزع :

— لقد ألفت القبح على البيضاء ، لأنها قلت
العجوز ، لقد كنت

قاطعه (أدهم) ، وهو يقول فى سخرية :
— عجباً .. إننا لم نسمع صوت رصاصة تطلق من
مسدسها أبداً الوغد ، ومسدسك وحده هو المزود بكاتم
للصوت .

شحب وجه (بسوى) ، وهو يقول :
— إنه مسدسها لقد انتزعت منها و
عاد (أدهم) لقاطعه ، قائلاً :
— لم تعد هناك فائدة أبداً الوغد ، لقد كشفت أمرك

وفجأة .. بر عيارته ، وتطلع إليها فى رية ، وقال :

— ولكن كيف تبدين هادئة هكذا ؟ هل

وقبل أن يم عيارته ، فتح باب المنزل فجأة ، وبدأ
على عتبه (أدهم صرير) باسماً فى سخرية ، وإلى
جواره (مونا) ، بادی الغضب ، وخلفهما عشرات
من المواطنين الزوج ، ونجاهل (أدهم) وجود
(بسوى) تماماً ، ونظر إلى (منى) ، قائلاً فى هدوء :

— هل أدبت عملك كما ينبغي يا عزيز ؟

وأمام عيني (بسوى) الداهلين ، رطمت (منى)
ساعة يدها أمام وجه (أدهم) ، واجتمعت هى تقول
فى هدوء :

— نعم يا زميل العزيز .. لقد سجلت كل كلمة
نطق بها هذا الوغد .

— لقد كنت أعددتها و

قاطعه (أدهم) فى سخرية :

— وتبادلت فى خداعك إلى حد قتل العجوز ..
كلاً أبداً الوغد ، لقد فشلت فى آخر محاولة للتخادع .
القط (مونا) طرف الحديث من بين شقصى
(أدهم) ، وقال فى غضب :

— لقد سمع الجميع كل كلمة نطقت بها أبداً
الخالن ، لقد تكشفت أمامنا أبعاد اللعبة القذرة التى
كنت تسجها حولنا ، ولقد تشاورنا فى الأمر ونحن
نسمع إلى اعتراضك ، ولم نناقش الأمر طويلاً ، بل
حاكمناك ، وأصدرنا حكمنا فوراً .

وصمت لحظة تضاعف فيها الغضب فى ملامحه ،
قبل أن يردف قائلاً :

— ولقد جاء الحكم بعد موافقة الجميع بالإعدام .
شحب وجه (بسوى) بشدة ، ثم تحرك فجأة قبل
أن يتنبه الجميع إلى ما ينويه ، وقبل أن يفلتر (أدهم)

بنفسك . لقد اعترف لى أحد رجال (أدولف) أنك أنت
الخالن ، وأنت أنت الذى قتل زميلاً (عبد الفتاح) .
ولكننى لم أكن أعطك دليلاً يكفى لإقناع (مونا)
والآخرين : لذا فقد فكرت فى هذه الخدعة . وحضرت
(منى) إلى هنا لمظاهرة بالجزع ، وأدعت أنها تلقت
معلومات جديدة ، ودفعتك لمحاولتك منها من إخبارى
إلى كشف نفسك أمامها ، وكنت مطمئناً إلى أنك
سقطها . فبدن سرك معها

واجتمع فى حنان وإعجاب وهو يتطلع إلى (منى) ،
قبل أن يطاع قائلاً :

— وأعترف أن (منى) قد قامت بدورها على
أكمل وجه ، ولأنها تفوقت على أعظم مثلى العالم
وهى تؤذى دوز الداهلة ، حينما اعترفت أمامها
بجرائمك ، وقادتك كالأنبله إلى اعتراف كامل ، سجلته
أجهزتها ونحن نجلس داخل سيارتها أمام المنزل .

قال (بسوى) : فى محاولة باتسة للنجاة :

نحوه كان قد طوّق عبق (منى) بالذراع، والصق قوّته
مسدده بجبهتها ، وقال في صوت وحشى صارخ :
— سأصدر حكماً بإعدامها قبل أن يصرك واحد
منكم أيها السادة ، ولكم أن تخشوا .. حياتها أو
حياتي .

ضاقت عنها (أدهم) ، والنقى حاجبه ، وهو
يقول في لهجة باردة :

— إنك تزيد موقفك صعوبة أيها الوجود .

أطلق (بىسوى) ضحكة ساعرة تفيض مرارة ،
وقال :

— أرى موقف هذا الذى سيزداد صعوبة أيها
الشیطان المصرى ؟ لقد أصدروا حكمهم على بالإعدام ،
هل تعرف ما يفوق ذلك ؟

عرجت كلمات (أدهم) باردة كالطنج ، سادة
كالسيف ، خفيفة كالرياح ، وهو يقول :

١٠٠

— نعم أيها الوجود ، هناك ما هو أكثر من الموت ،
ولو لم تطلق سراح (منى) فوراً ، لأنك من العذاب
ما تسمى معه الموت ألف مرة .

شحب وجه (بىسوى) ، وشعر بكلمات
(أدهم) الباردة تجعد أطرافه ، ولكنه سرعان ما تفنن
هذا الشعور عن نفسه ، وقال في عناد :

— ولو لم تبعد عني ، وتفسح لي الطريق لحوت
رأس زيفتك الجميلة هذه إلى كومة من اللحم المقرى .

ظل (أدهم) صامتا يحدق في عيني (بىسوى) في
صرامة . ثم قال في هدوء يحمل توأمة الخطر :

— لو أنك مسست شعرة من رأس (منى) ،
فسأزفك إني أيها الوجود .

صرخ (بىسوى) في غضب :

— كنت عن مناداتي بالوجود .

أجاب (أدهم) في صرامة وعناد :

— كلاً أيها الوجود .

١٠١

ثم حوّل أنباه مسدده فجأة نحو (أدهم) ،
وضغط الزناد .

انطلقت الرصاصة من قوّمة مسدس (بىسوى) ،
ولكنها لم تطلق نحو (أدهم) ، وإنما أصابت سقف
الحجرة .. فلم يكند (بىسوى) يزع قوّمة مسدده عن
رأس (منى) ، حتى انقض عليه (أدهم) كالقنبلة ،
وأزاح ذراعه الممسكة بالمسدس إلى أعلى ، ثم رجع يده
الأخرى بعيداً ليفلت عبق (منى) من قبضه . وقبض
على ذراعي (بىسوى) يقبض كالفلذ ، ورفعه عن
الأرض كقطف صخر ، ثم جمع غضبه وعفته في لكمة قوية
هوى بها على فخذ (بىسوى) ، وأعقب ذلك بأخرى في
معدته . وثالثة في أنفه ، ورابعة ، وخامسة ،
وسادسة ، وفي كل ضربة كأن (أدهم) يودع جزءاً من
غضبه وكراهيته للغضب والخصومة ، حتى صرعت
(منى) :

١٠٢

ظهر غضب عارم عنيف على وجه (بىسوى) ،
وشدّ ضغط ذراعه على رقبة (منى) ، وهو يصرخ :

— أفسح الطريق أيها المصرى .. إننى أمرك .

وبدلاً من أن يتزاح (أدهم) جانباً ، تقلم نحو
(بىسوى) بمخاطات بطيئة ، قائلاً في برود كالطنج :

— أتركها أيها الوجود ، قبل أن تمتلئ الموت .

تراجع (بىسوى) وهو يصرخ :

— سأقتلها .. أقسم لك إننى سأفعل .

تضاعف الغضب في عيني (أدهم) ، وهو يواصل
تقدمه نحوه ، قائلاً :

— اقتلها لو أنك تشلك الجراءة لفعلت ذلك ، إنك
تقل دولتك خير قليل ، فأنت تجيد الخداع والغش ،

ولكنك لا تتدر على مواجهة من يفوق قوة
صرخ (بىسوى) ، وقد التصق بالخالط :

— قلت لك إننى سأقتلها .

١٠٣

— كفى يا (أدهم) .. إنك ستفعله .

توقف (أدهم) عن توجيهه لكلماته إلى
(بوسى) ، وسقط هذا الأخير متكوماً على أرض
الفرقة ، والدماء تسيل من فمه وأنفه ، ولالت ملاح
(أدهم) وهو يستدير نحو (منى) ، سائلاً إياها في
هتود :

.. هل أنت بخير يا عزيزتى ؟

أومأت برأسها إيجاباً ، على حين ربت (مونا) على
كف (أدهم) ، وقال :

— إننا ندين لك بالشفقة على منطلعتنا ومناصرة
قضيتنا يا سيد (أدهم) .. لقد فعلت (مصر) من
أجلنا الكثير .

ثم استدار إلى مواطنيه الذين يتابعون الموقف ،
وقال :

— لعل هذا يكون درساً لكم يا إخوة الوطن .. لقد
خانتنا رضى مثلبا ، وعاوننا رجل وامرأة فلما بشرت بفضاء ،

ولكن هذا دليلاً على أن لون البشرة لا يصنع البطل
والخائن ، ولا الذكى والعشى ، ولا الشريف واللئس ،
وإنما هو خلاف عارضى يضى موطن الحقيقة .

وضرب موضع قلبه في قوة ، وهو يقول :

— القلب .. القلب هو موطن الحقيقة يا رفاق

ربت (أدهم) على كتفيه ، وقال باسماً :

— مهلاً يا صديقى (مونا) ، فلنؤجل هذه
الخطبة إلى الغد ، فإنا أثق إلى بعض النوم ، ولقد اتبلج
الفجر بالفعل

استدار (مونا) يتأمل ملاحه في إعجاب ، ثم
ابتسم ابتسامة شملت وجهه بأكمله ، وبسط ذراعه
أمامه قائلاً :

— أنت عبقى يا صديقى المصرى ، لقد اتبلج فجر جديد
وإن صمت أبلغ من الكلام ، مدّ (أدهم) كفه ،
وتصافح الرجلان ، ليؤكد صداقتهما والنقاء شبيهما
تحت راية الحرية وكرامية الميول الاستعمارية .

١٢ — الختام ..

عاون (أدهم) (منى) في حل حزام مقعدهما ،
حين ارتفعت الطائرة بمبادرة (كيب تاون) ، واستقر
جانباً إلى جوارها ، وقد أغلق عينيه في صمت ،
وسيطر الصمت عليهما بعض الوقت ، ثم التفت إليه
(منى) ، وسألته :

— لم تفكر يا (أدهم) ؟

ابتسم وهو يقول :

— إننى أحاول تخليص ذهنى من كل الأفكار
يا عزيزتى .

ضحكت وهي تقول :

— لقد حاولت ذلك أنا أيضاً ، ولكننى فشلت .

شاركتها ضحكها وهو يقول :

— وأنا كذلك يا عزيزتى .

سألته في اهتمام :

— هل تعلم أن مشكلة (جوب إفريقيا) ، يمكن
أن تحل يوماً ما يا (أدهم) ؟

مدّ شفتيه وهو يقول :

— ولم لا ؟.. لقد رزحت (مصر) تحت نير
الاحتلال سبعين عاماً ، ثم لم تلبث أن تحررت .. إن
الاستعمار كيان هش يا عزيزتى ، لا يد له من الزوال
يوماً ما مهما طال الأمد .

تهندت وهي تقول :

— إننى أصلى هذا القول .

ثم عادت تسأله في الغفول :

— لقد كنت تفتل (بوسى) .. اليس كذلك ؟

ابتسم وهو يضحك ، قائلاً :

— لقد أثار غضبى يا عزيزتى .

غضب وجهها بحمرة الخجل ، وهو يردف قائلاً :

— لقد حدد بالإساءة إليك .

أشاحت بوجهها حياء ، وهي تقول :

— أكان هذا من أجل ؟

ابتسم وهو يتأملها في حنان ، ويرث على كفها
قائلاً :

— إيراودك الشك في هذا يا عزيزي ؟

هزّت رأسها تقياً دون أن ترفع وجهها إليه ،
فابتسم ، وعاد يسند رأسه إلى مقعده ، ويفلق عييه ،
ويلوذ بالصمت ، واحترمت (منى) صمته ، فصمتت
بدورها ، حتى سألها في هدوء :

— هل لاحظت أنها المرة الأولى ، التي نعمل فيها في
واحدة من دول الجنوب الإفريقي ؟

أومأت برأسها إيجاباً ، وهي تقول :

— لم أشعر بخارق كبير .. فالجريمة هي الجريمة في كل
مكان وزمان .

ابتسم وهو يقول :

ولكنني أشعر بشوة ، كلما حققت نصراً جديداً في
بلد جديد .

تأملته لحظة ، ثم ابتسمت في إعجاب ، وقالت :

— أنت تنصر دائماً يا (أدهم) ، وسيأتي يوم
تعلق فيه كل دول العالم لائحة أنيقة تقول : « هنا انتصر
(رجل المستحيل) » .

[تمت بحمد الله]